



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

برامج بناء السلام في العراق رؤية نقدية

جاسم السدر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

برامج بناء السلام في العراق رؤية نقدية

جاسم السدر *

المقدمة

يعد مفهوم بناء السلام من أكثر المفاهيم اشتغالاً في المراكز البحثية، ومن أشهرها تداولاً في البلدان التي خرجت من أسر الاستبداد وتعثرت تجربتها في مسار العدالة الانتقالية، وتنوعت هويات شرائحها الاجتماعية فشعرت بمضم حقوقها أو مس كراماتها أو التضيق على حرياتها، أو تشاكرت فيها الفواعل السياسية، أو أصيبت مفاصلها المؤسساتية بالهشاشة، أو نشبت بين أفرادها النزاعات الصلبة، أو غابت الرؤية الجامعة لمواطنيها؛ مما تسبب بالصراع على الماضي وتوظيفه في الصراع السياسي، أو الاختلاف على شكل المستقبل، أو التنازع على النفوذ والتغالب على حيازة الموارد، أو سيطرة علة الاستبداد على العقول وتفشي نزعات التمييز والكرهية؛ مما أسهم بصناعة بيئات تحتضن أرحامها الاجتماعية والسياسية أجنة التطرف العنيف التي تولد دوماً بعد النزاعات الصفرية في ظل غياب رؤى الاعتدال وتهميش أفكار الحوار والتفاوض واقضاء استراتيجيات السلم وحضور الانفعالات وردود الأفعال بديلاً عن بناء السلام المستدام الذي يعزز الوحدة ويرصن النسيج المجتمعي، ويمنح شرائحه المناعة الذاتية للصمود أمام الأفكار المتطرفة العنيفة، مما استدعى ابتكار مجموعة من برامج بناء السلام اعتمدها الحكومات العراقية المتعاقبة بعد 2003 وإلى يومنا هذا، فضلاً عن برامج المنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية، ولضخامة البرامج وتنوعها وسعة المدة الزمنية واتساع جغرافيتها، تطلب إجراء وقفة للمراجعة وإعادة التقييم لفلسفة البرامج وآليات تنفيذها وكفاءتها، واستدامتها، ونتائجها عبر قراءة نقاط القوة التي ارتكزت إليها ومواطن الضعف التي تصيبها بالارتباك، والهشاشة والامكانات التي تمتلكها والتحديات التي تعترضها والفرص التي يمكن تحقيقها، ستتضمن الورقة مقدمة وأربعة محاور وخاتمة ونتائج وتوصيات إجرائية.

* أكاديمي وخبير في دراسات التطرف العنيف.

أهداف الورقة

تهدف الورقة لتحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

أولاً: تعريف العاملين في برامج بناء السلام ضرورة بنائها وفق فلسفة اعمق وكفاءة أدق عبر ابتكار آليات استدامة مجتمعية.

ثانياً: اكتشاف نقاط القوة والضعف وأهم التحديات والفرص لبرامج بناء السلام من منظور استراتيجي سعياً للتعزيز والمعالجة واكتشاف المناعات وتحقيق الجاهزية.

ثالثاً: مساعدة العاملين في اثناء برامج بناء السلام عبر ابتكار مجموعة من البدائل الفكرية والبرامجية تعزز نجاحات البرامج من جهة وتقوي نقاط ضعفها من جهة أخرى.

المحور الأول: مفهوم بناء السلام: تشير مفردة السلام تشير الى أمن ورخاء وسكينة المجتمعات؛ مما يتطلب إحداث تغييرات عميقة في سلوك الأطراف المتنازعة/ وأبنيتهم الاجتماعية المؤدية للعنف، وتحفيزهم لانتهاج سبل التعايش والتفاعل السلمي مع آخرين يختلفون عنهم في الأهداف والمصالح. (بتصرف من كتاب دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحل النزاعات).

ومن جهة أخرى، يعد تداخل موضوعات الهوية والثروة والعدالة في مفهوم بناء السلام معوقاً من جانب وحافزاً في ذات الوقت؛ مما يتطلب تعاملاً عميقاً واكتشافاً أدق وابتكاراً إبداعياً، يحقق الأهداف عبر برامج واقعية تظهر نتائجها المجتمعية عبر مؤشرات ومعطيات ملموسة في مختلف الجوانب الثقافية والأدائية.

المحور الثاني: برامج بناء السلام الحكومية

تبنت الحكومات العراقية المتعاقبة ما بعد 2003 مجموعة من برامج بناء السلام عبر الهيئات التي استحدثتها لتمكين المفهوم وتعزيز أفكاره بين مختلف شرائح المجتمعية عبر ما تمتلكه من امكانيات وموارد، استهدفت تجذير المفهوم، مستعينة بالكفاءات العراقية من مختلف التخصصات، فعددت المؤتمرات والندوات والورش الحوارية والدورات، تناولت تفكيك التطرف العنيف وبناء السلام والتماسك الاجتماعي وغيرها من البرامج التي استهدفت شرائح الشباب والنساء تعزيزاً

للسلم المجتمعي، مستثمرة امكاناتها المادية ومواردها البشرية التي تمتلكها في ظل مهمة كبيرة تتطلب رصد ميزانية تكفي وتهيئة كوادر تدريبية محترفة، مجموعة من الملاحظات يمكن إدراجها على فلسفة البرامج وتنفيذها عبر استعراض معايير الكفاءة والاستدامة التي يلاحظ تدني مؤشراتهما، ولاسيما في المؤتمرات والندوات والورش والدورات، ومنها:

أولاً: غلبة اللغة النخبوية على البرامج وغياب فلسفة السهل الممتنع، مما يجعلها ملكاً حصرياً للأكاديميين، يصعب على شرائح الشباب والنساء هضمها.

ثانياً: عدم اتساع أماكن تنفيذ البرامج مما يجعلها أسيرة القاعات وحرمان الجماهير من الاستفادة من مخرجاتها.

ثالثاً: غياب الاستدامة يصيب البرامج بدورة حياة قصيرة، مما يتطلب المتابعة والتقييم لبناء برامج تلبي الحاجات المجتمعية بواقعية.

رابعاً: ضعف التسويق الإعلامي للبرامج يجعلها رهينة للوقت الذي تعقد فيه، مما يجرمها من قابليات الانتشار الجماهيري والتعميم المجتمعي.

خامساً: التكرار في الأفكار والرتابة في الطرح وغياب الإبداع التدريبي، علل تصيب البرامج بالهشاشة؛ مما يعوق حيويتها للتأثير في المتلقين.

سادساً: ضعف ميزانية برامج بناء السلام، مما يسهم في تعويق إثرائها الشرائحي والمجتمعي ، كما يعوق الاستجابات لتحديات بناء السلام من جهة أخرى.

سابعاً: غياب الكوادر التدريبية المحترفة التي تمتلك إمكانات ومهارات التأثير النخبوي والمجتمعي؛ مما يتطلب تأهيل فرق تدريبية تستوعب التنوع العراقي في مختلف جغرافياته وشرائحه.

ثامناً: عدم إثراء مفاهيم إدارة التنوع وتعددية الهويات والعدالة الانتقالية والمواطنة وتداول الثروات وابتكار مناعات ضد التطرف العنيف وغيرها في برامج بناء السلام؛ مما يجعل من البرامج مغرقة في الإنشائية، منزوعة الدسم من العملية والمخرجات الإجرائية.

المحور الثالث: برامج بناء السلام لدى المنظمات غير الحكومية

رأت المنظمات غير الحكومية النور بعد 2003؛ مما أسهم بتأسيسها وفقاً لتنوع مهامها، ولعمق تلاحمها مع الحاجات المجتمعية، أبدت الجاهزية للمشاركة الفاعلة في تنفيذ برامج بناء السلام المتنوعة، تحديات حداثة التأسيس وعظم المهمة وغياب الاحترافية وظهور مؤشرات الهشاشة الفكرية وضعف الفلسفة البرمجية، أسهمت جميعها بتكرار المنظمات لبرامجها، مما أدى لتغول الانشائية والسطحية، وإن ضعف التمويل وارتباك الميزانيات وتخلي الشركات ورجال الأعمال عن دعم برامج بناء السلام ترك فراغاً ليس من السهولة ملؤه، مما يتطلب إعادة قراءة ومراجعة وتقييم لفلسفة البرامج وكفاءتها واستدامتها، مجموعة من الملاحظات يمكن ادراجها سعياً للرقى بأداء المنظمات ومساعدتها في تنفيذ برامج بناء السلام، منها:

أولاً: غياب الفلسفة البرمجية وغلبة الإنشائية على تصميم البرامج.

ثانياً: تدني مؤشرات الاحترافية الفكرية والتدريبية وتنفيذ البرامج بعفوية.

ثالثاً: التعاطي مع معضلة السلام بأحادية، مع أنها في طبيعتها مركبة، إذ يتداخل فيها السياسي والاقتصادي والديني والاجتماعي وغيرها من المحركات.

رابعاً: غياب التكامل بين المنظمات العاملة في برامج بناء السلام، وغلبة الفردانية؛ مما أسهم بالتكرار والوقوف عند سفوح الأزمة دون التقدم نحو قممها.

خامساً: ضعف آليات الحفر في عمق الأزمة دون الاستعانة بمتخصصين وخبراء، مما أدى لتبني أفكار بدائية.

سادساً: التمحور والانكفاء على أسماء مكررة متدربين ومدربين، مما شكل عائقاً أمام الانفتاح على شرائح اجتماعية أوسع.

سابعاً: غياب الإبداع في ابتكار البرامج والاكتفاء بالمكرر والمتداول.

ثامناً: غياب الاستدامة؛ مما أنتج برامج قصيرة العمر، ضعيفة التأثير.

تاسعاً: التعامل مع البرامج المصممة من منظور نظيري غالباً ما يتم تجاوز الجنبه العملية، ولاسيما في غياب الرؤية الكلية للتعاطي مع مفهوم بناء السلام.

المحور الرابع: برامج بناء السلام لدى المنظمات الدولية

عرف تقرير لجنة القانون الدولي المنظمة الدولية الذي أعدته الأمم المتحدة في دورتها الحادية والستين في عام 2009، (بانها المنظمة المنشأة بموجب معاهدة أو صك آخر يحكمه القانون الدولي وتملك المنظمة شخصية قانونية دولية خاصة بها).

تدعم المنظمات الدولية برامج بناء السلام في مناطق النزاعات التي تنشأ بعد زوال الاستبداد واشتعال الصراعات على حيازة الثروة والنفوذ أو تزامم الهويات أو تعثر مسار العدالة الانتقالية وغيرها من الأسباب، فواعل تدفع المنظمات الدولية لتبني سياسات تبريد الأزمات وتهدئة الأوضاع وإحلال التفاهات المجتمعية، ولأسباب أخرى كثيرة متداخلة تفرغ المنظمات الدولية للنزول بثقلها وامكاناتها للمساهمة في تعزيز برامج بناء السلام، العراق واحد من أهم البلدان التي حظيت بتقديم المساعدات عبر دعم البرامج التدريبية والأكاديمية، تعزيزاً لرؤى السلام وبلورة لسياسات التماسك الاجتماعي من خلال توظيف امكانات الدول واستثمار الرأسمال المجتمعي لتعزيز السلم المجتمعي، مجموعة من الملاحظات على برامج بناء السلام التي تدعمها المنظمات الدولية، منها:

أولاً: ضعف تطابق مضامين البرامج مع الحاجات الحقيقية للشرائح الاجتماعية.

ثانياً: غلبة النخبوية والأكاديمية على البرامج؛ مما يشكل صعوبة على المتلقين من مختلف الشرائح الاجتماعية.

ثالثاً: غالباً ما يتم التعامل مع معضلة غياب السلام من منظور تشخيص أحادي في ظل غياب تكامل مسارات العلاج.

رابعاً: اعتماد البيروقراطية المكتنبة والشروط عالية المؤشرات تمنع المنظمات المحلية الناشئة من المشاركة في تنفيذ البرامج من جهة، ويتيح احتكار التنفيذ من قبل أسماء مكررة.

خامساً: البرامج صممت وفق رؤية فكرية رغم أهميتها القصوى، وإرجاء دعم البرامج الاقتصادية كواحد من أهم الحلول العملية.

سادساً: التعامل مع إكراهات الواقع بعقلية مكتنبة رتيبة تخلو من الابتكار والإبداع.

سابعاً: البرامج تصمم وفق رؤى كاتبها غالباً ، وليس استجابات لمحركات الواقع.

الخاتمة والنتائج

برامج بناء السلام في العراق رؤية نقدية، سعت الورقة لإجراء مراجعة وتقييم لفلسفة البرامج وكفاءة أدائها واستدامتها، خرجت بمجموعة من النتائج، من أهمها:

أولاً: غلبة الانشائية على البرامج ونخبويتها مما أدى لصعوبة إدراك مضامينها.

ثانياً: غياب المنظور الكلي للتعامل مع معضلة غياب السلام في ظل التشخيص الفكري الأحادي غالباً.

ثالثاً: ضعف الكفاءة في تصميم البرامج وهشاشة الاستدامة من أهم نقاط ضعفها.

رابعاً: غلبة التنظير والأسلوبية اللفظية في المعالجات على حساب الحلول العملية الاقتصادية وتنضيج السياسات الادارية طويلة المدى أمودجا.

خامساً: استهداف ذات الشرائح والأشخاص والجهات التنفيذية مما خلق مساحة تنفيذ ضيقة شرائحياً وجغرافياً ومؤسسياً.

التوصيات: مجموعة من التوصيات حرصت الورقة على تقديمها، منها:

أولاً: رصد ميزانية حكومية كافية لتغطية تصميم البرامج وتنفيذها بكفاءة واستدامة.

ثانياً: بلورة فلسفة للبرامج يبني معمار البرامج على أرضيتها، تجاوزاً للتكرار والرتابة.

ثالثاً: تبني الواقعية والعملية في تصميم البرامج وتخفيف جرعات التنظير اللفظي عبر اعتماد حلول واقعية كدعم الأفكار الاقتصادية وتنضيج خيارات السياسات الإدارية.

رابعاً: اعتماد الانفتاح المرن تجاه الشرائح الاجتماعية وجغرافيا النوع تعزيزاً لتجذير مفهوم السلام وتبنيته عراقياً.

خامساً: إعداد ملاكات تدريبية عراقية من مختلف الشرائح الاجتماعية للمساهمة الفاعلة في تعزيز المفهوم وبرمجته اجتماعياً وثقافياً ومؤسسياً.

سادساً: اعتماد استراتيجية المسارات المتكاملة في التعاطي العملي مع مفهوم بناء السلام وتجاوز الأحادية في التشخيص والمعالجات.

سابعاً: وضع الاستدامة كأولوية في تصميم البرامج لقطف ثمرات المفهوم اجتماعياً.

ثامناً: نقل تنفيذ برامج بناء السلام من قاعات النخبة إلى حيث مدارس الطلبة والجامعات.

تاسعاً: دعم برامج إعلام السلم المجتمعي عبر مختلف وسائله ووسائطه بعد إعداد محتوى يستجيب بواقعية لمعوقات تعزيز المفهوم اجتماعياً.

عاشراً: ابتكار برامج حوارية تفاعلية مع شريحتي الشباب والنساء عبر استضافة متخصصين وخبراء لاكتشاف برامج بناء سلام تجوز سمات الجودة والجدوى والاستدامة.

وأخيراً، ما تم ذكره في الورقة من ملاحظات على تصميم برامج السلام وتنفيذها، فلا يقلل بطبيعة الحال من الجهود المبذولة من مختلف الجهات سواء أذكرتها الورقة أم لم تذكرها، هدفت الورقة لتسليط اضاءة مراجعة وإعادة تقييم، بهدف تطوير الأفكار وتنضيج الرؤى وتحديث فلسفة البرامج سعياً لابتكار معالجات أعمق ومخرجات أثرى في ضوء قناعة يقينية أننا يمكننا أن نصنع معاً بيئة سلام عبر برامج ابداعية تتكامل فيها إمكانات الدولة والرأسمال الثري المجتمعي من خلال تبني استراتيجية المسارات المتكاملة.